

المخدرات (الأفيون ومشتقاته) في اللغة والفقہ والقانون والطب

د. محمد علي البار
مدير مركز اخلاقيات الطب
المركز الطبي الدولي - جدة
تعريف المخدرات :

المخدرات في اللغة : تدور معاني كلمة خدر حول الستر . والمخدر هو ما يستر الجهاز العصبي عن فعله ونشاطه المعتاد . وهو تعريف دقيق من الناحية الاقرباڤينية (علم العقاقير) : جاء في القاموس المحيط للفيروز ابادي .

الخدِر (بكسر الخاء) : ستر يمد للجارية في ناحية البيت . وكل ما وارك من بيت ونحوه . والجمع خدور .. وأجمة الأسد خدر الأسد خدر (لأنها تستره) ومنه أسد خادر".

والخَدَر (بالفتح) الكسل ، وظلمة الليل ، والمكان المظلم ، واشتداد الحرِّ ، واشتداد البرد . وتَخَدَّرَ واختدر : استتر . وأخدروا أي دخلوا في غيرم مطير أو غيم فقط . أو ربح . . وكلها تدل على معنى من معاني الستر .

والخَدَر (بالفتح) ايضا : هو إمذلال يغشى الأعضاء ، وفتور العين أو ثقل فيها . وفي المصباح المنير : خدر العضو إذا استرخى فلا يطيق الحركة ، وفي لسان العرب: الخِدِر من الشراب والدواء : فتور يعتري الشارب وضَعْف . والخَدَر : الكسل والفتور".

وتدور معاني لفظ Narcotic في اللغات الأوربية على نفس معاني المخدِّر والخدر في اللغة العربية . وهي تطلق بصورة خاصة على الأفيون ومشتقاته وما يحدثه من خدر وفتور في الأعضاء وستر للألم وتغطية على بعض أنشطة الجهاز العصبي ، وشعور بالنوم وثقل في الاعضاء .

المخدرات في الفقہ الاسلامي :

لم يستخدم الفقهاء لفظ المخدرات الا في القرن العاشر الهجري وأما قبل ذلك فقد تحدثوا عن المسكرات والمفترّات مثل الأفيون والحشيش وغيرها .

وقد أخرج أبو داود في سننه والإمام أحمد في مسنده عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : " نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتّر " .

وقال الخطابي : " المفتّر : كل شراب يورث الفتور والخدر . وهو مقدمة السكر (بالفتح) وقد نهى رسول الله ﷺ عن شربه لئلا يكون ذريعة الى السكر " .

قال ابن رجب الحنبلي : " المفتّر : هو كل مخدر للجسد ، وإن لم ينته الى حد الاسكار ، كالبنج ونحوه " . ويطلق لفظ البنج على نبات الشيكرا Belladonna .

قال الامام السرخسي في المبسوط (في الفقه الحنفي) : " البنج لا بأس بأن يتداوى به الإنسان ، فإذا كان يذهب عقله منه فلا ينبغي أن يفعل ذلك " .

قال ابن قدامة في المغني (ج8/254) : فأما إن شرب البنج ونحوه مما يزيل عقله عالما به متلعبا ، فحكمه حكم السكران في طلاقه " .

ونصّ ابن عابدين في الحاشية على جواز استخدام نحو البنج والأفيون للأغراض الطبية في التداوي ويحرم السكر منها لاي غرض . وأما القليل فإن كان للهو فهو حرام¹

وقد اعتبر الفقهاء الأفيون من المخدرات وتنبهوا الى خصائصه الأقرباذينية وأنه يسبب الإدمان وحرّموا استخدامه للهو . وسمحوا باستخدامه في المجال الطبي بالقدر الذي لا يذهب بالعقل كما أباح كثير منهم لمن أدمنه أن ينقص الجرعة حتى يتم سحب العقار وقد سئل ابن حجر المكي الهيثمي عن ابتلى بأكل نحو الأفيون ، وصار إن لم يأكل منه هلك ؟ فأجاب إن علم ذلك قطعاً حلّ له ، بل وجب لاضطراره الى بقاء روحه كالميتة للمضطر .

ويجب عليه التدرّج في تنقيصه شيئاً فشيئاً حتى يزول تولع المعدة به من غير أن تشعر (نتيجة لما يحدثه ترك الأفيون فجأة من القيء والاسهال) فإن ترك ذلك فهو آثم فاسق . وقد وافقه على ذلك الرملي² .

وقد ذكر ابن حجر المكي الهيثمي في كتابه الزواجر الأفيون بعد أن ذكر الحشيشة وعدّد مضارها فقال : " وهذه القبائح كلها موجودة في الأفيون³ " .

وتحدث ابن عابدين عن البرش وقال " هو شيء مركب من البنج (الشيكران) والأفيون وغيرهما . وفي تذكرة داود أنه يفسد البدن والعقل ويسقط الشهوتين (اي الطعام والجماع) ويفسد اللون وينقص القوى وينهك البدن⁴ " .

وخلاصة القول أن أكثر الفقهاء الأقدمين قد اتفقوا على الآتي :

- 1- حرمة استخدام المواد الصلبة والنباتات المؤدية الى اختلاط العقل وتشوش الذهن ما عدا الاستعمال الطبي وموقفهم من سوائها أشد حيث أن كثيراً منهم أدخلها في حكم الخمر .
- 2- إن الاستخدام الطبي يجب ان يكون بحيث لا تصل الكمية المستخدمة الى فقدان العقل او الاسكار ، وان يصفها طبيب مسلم عدل .
- 3- إن المواد الصلبة والنباتات طاهرة العين على خلاف السائلة فإنها تدرج في حكم الخمر من حيث النجاسة . واختلفوا هل هي مال مقوم يضمن متلفها أم يضمن .
- 4- أن تناول القليل من هذه المواد المسببة لاختلاط العقل وتشويش الذهن حرام ما لم يكن هناك سبب طبي يدعو لذلك .
- 5- لا يجب الحد في تناول هذه المواد وانما يجب التعزير .

التعريف القانوني : لا يوجد تعريف للمخدرات في القوانين الوضعية ولهذا اتجهت القوانين الوضعية لاصدار قوائم بالمواد المحرّم استعمالها وحيارتها وجلبها وبيعها . . وعادة ما ينص القانون الوضعي على هذه العبارة : " تعتبر جواهر مخدرة ، في تطبيق أحكام هذا القانون المواد المبيّنة بالجدول رقم (1) ، ويستثنى منها المواد بالجدول رقم (2) " . ولا تختلف هذه القوائم بأسماء هذه المخدرات من بلد الى بلد ولكنها تختلف أيضا في نفس البلد من زمن إلى آخر .

وقد استمر بيع الأفيون والمورفين والهيروين علنا في الاسواق في الولايات المتحدة وأوربا حتى عام 1914 حتى صدر قانون هاريسون في الولايات المتحدة الذي يمنع صرف هذه المواد الا بوصفة طبية معتمدة ، والذي لم ينفذ الا منذ عام 1920 .

ويذكر كتاب الكلية الملكية للأطباء النفسيين بالمملكة المتحدة ان استخدام محلول الأفيون المذاب في الكحول (Laudanum) كان يستخدم على نطاق واسع جدا حتى ان جلادستون رئيس وزراء بريطانيا كان يضعه في فنجان القهوة الذي يشربه في

البرلمان البريطاني وكان نصيب كل فرد من سكان بريطانيا ما يوازي 150 حقة من المورفين سنويا⁵ !! .

ولم يكن الامر مقتصرًا على اوروبا والولايات المتحدة بل كانت كل دول العالم تبيح استخدام الأفيون ومشتقاته وكان نبات الكوكا يستخدم على نطاق واسع في امريكا اللاتينية (بيرو وكولومبيا وجبال الانديز . .) ، من السكان الاصليين منذ آلاف السنين ثم قام الرجل الغربي بتحضير الكوكايين منه ، وهو أشد فكا بمئات المرات من النبات الخام ، ونشر استعماله على نطاق واسع . وكان القنب (الحشيش) يستخدم أيضا على نطاق واسع في مناطق مختلفة من العالم دون قيود قانونية . . ولم يمنع استخدام هذه المواد سوى فقهاء الاسلام .

وعملت بريطانيا وفرنسا وتبعتها الولايات المتحدة على نشر الأفيون في الصين وفرض ذلك فرضا وخاضوا عمار حربيين شرستين ضد الصين وقد قامت الحرب الأولى عام 1839 وانتهت عام 1842 بهزيمة الصين وفتح خمسة من موانئها لتجارة الأفيون وكان على الصين أيضا ان تدفع مبالغ طائلة تعويضا لبريطانيا عما اتلفته من الأفيون في معاهدة نانكينج (29 اغسطس 1842) ومعاهدة بوج (8 اكتوبر 1843) ولم تكتف بريطانيا وفرنسا بذلك بل قاما بإدخال الأفيون الى داخل بكين ذاتها . ولما احتجت الصين وقاومت ذلك هجمت عليها هاتان الدولتان العملاقتان في ذلك الوقت ومعهما عشرات الآلاف من المجندين من الهند ، وما يسمى الهند الصينية ، والمدافع الحديثة ، واشتركت معهما أمريكا في حرب حقيرة لنشر الأفيون وذلك من عام 1856 حتى عام 1860 التي انتهت بدك قصر الامبراطور .

وقد أباحت هولنده استخدام الحشيش فيما يسمى النطاق الشخصي ، كما قامت أربع ولايات من الولايات المتحدة باباحة استخدام وحيارة الحشيش في النطاق الشخصي وهناك حملة في الولايات المتحدة لاباحة استخدام الحشيش (الماريوانا) رسميا⁶ .

والموقف المضحك للقوانين الوضعية هي أنها تبيح بدون استثناء صناعة وحيارة وترويج وشرب الخمر بينما هي تعاقب عقوبات شديدة تصل الى حد الاعدام لحيارة وتهريب وترويج ما يسمى المخدرات .

ومن المعلوم طبيا كما تقرر منظمة الصحة العالمية ان الخمر أشد ضررا وفتكا من الناحية الصحية والاجتماعية والاقتصادية من جميع المخدرات مجتمعة⁷ .

تعريف المخدرات في علم العقاقير والطب

يستخدم لفظ المخدرات في علم العقاقير الطبية ليدل على مادة الأفيون ومشتقاتها مثل المورفين والهيريون والكودايين . ولا يستخدم لفظ المخدرات (Narcotics) ويشمل المواد الأخرى المنبهة أو المهلوسة كما لا يشمل المسكرات مثل الخمر . ولذا يستخدم علماء العقاقير . لفظ العقاقير المسببة للاعتماد ، والمقصود بذلك الاعتماد على العقاقير المغيرة للحالة المزاجية والعقلية للإنسان ، والتي تؤثر على الجهاز العصبي ويؤدي تكرار استخدامها الى اعتماد الشخص عليها بسبب خاصية العقار ذاته ، لا بسبب خاصية المرض الذي يوجب تكرار الجرعة الدوائية ، فمريض السكر مثلا يحتاج الى الاستمرار في تناول الانسولين او العقاقير المهبطة للسكر ، وكذلك المريض الذي يعاني من ارتفاع ضغط الدم (التوتر الشرياني) يحتاج الى تكرار الجرعة الدوائية ويعتمد على هذا العقار لخفض ضغط الدم المرتفع لديه . . ولا يعتبر معتمدا على العقار أي لخفض ضغط الدم المرتفع لديه . . ولا يعتبر معتمدا على العقار أي مدمنا لان العقار لا يسبب الامان بل المريض محتاج الى تكرار الجرعة بسبب المرض نفسه .

لهذا فإن الدوائر الطبية تستخدم تعبير الاعتماد على العقاقير Drug

Dependence (اي ادمان العقاقير) ، أو سوء استعمال العقاقير Drug Abuse والمقصود بذلك العقاقير التي تغير الحالة المزاجية والنفسية والعقلية للإنسان عن طريق تأثيرها على الجهاز العصبي ، وسواء كانت منبهة للجهاز العصبي المركزي مثل الكوكايين والأمفيتامين ، أو مثبطة له مثل الكحول والباربيتورات ومشتقات الدايازيبام (الفاليوم والليبريم) ، أو المخدرة مثل الأفيون ومشتقاته أو المهلوسات بأنواعها .

والاعتماد (الإدمان) يقسم إلى نوعين : نفسي وجسدي .

والنفسى : يوجد لدى المتعاطي رغبة قوية في تكرار الجرعة بل وزيادتها بانتظام ، ويدفعه الى البحث عن العقار عند فقده قبل البحث عن الطعام أو اي مطلب آخر . ولكن هذا الاعتماد لا يؤدي إلى آثار جسدية بالغة عند التوقف عن العقار فجأة ، مثل الاسهال

والقيء الذي يحدث عند التوقف عن الأفيون أو مشتقاته ، أو الصرع عند التوقف المفاجيء عن شرب الخمر أو تعاطي الباربيتورات لمدمنها.

وتتمثل الأعراض في الاعتماد النفسي في حالة من القلق والتوتر والكآبة وشراسة الطبع ، وعدم القدرة على التركيز ، وقد يسبب ذلك أرقا أو صداعا شديدا ، وقد يصحبه رعشة خفيفة في اليدين ، ومن أشهر العقاقير المسببة للاعتماد النفسي : النيكوتين في التبغ ، ومادة تتراهيدروكانيبول في الحشيش (الماريوانا) ، ومادة القاتين في القات ، ومادة الامفيتامين ، وأشدها على الإطلاق مادة الكوكايين .

أما الاعتماد الجسدي: فهو أشد خطورة من الاعتماد النفسي إذ أن التوقف المفاجيء عن تعاطي العقار المسبب للاعتماد يسبب ظهور ما يسمى علامات الامتناع **Abstinence** ، أو ما يعرف بعلامات سحب العقار من الجسم **Withdrawal Symptoms** فعندما يتوقف مدمن الأفيون أو مشتقاته مثل المورفين والهروين لعدة ساعات فإن أعراض الامتناع تبدأ بالظهور على هيئة تئؤب شديد ، وانصباب اللعاب في الفم ، وانسكاب الدموع من العين وانسياب الإفرازات من الأنف مع اسهال شديد متكرر ، وقيء لا يكاد يتوقف ويصحب ذلك كله عرق بارد وغزير ... والجلد مقشعر كأنه جلد أوزة مذبوحة مع حالة من الرعب والخوف تتملك المدمن ، وآلام شديدة في الساقين والقدمين مما يجعل المصاب يقوم بتحريكهما بعنف وقوة ، لكننا هو ذبيحة تركل وترفس أثناء ذبحها وتشخر بدمائها .. وهذا يشخر ويغرق بسوائل جسمه ...

وقد وصف القدماء بدقة هذه الأعراض وجاء في تذكرة داود الانطاكي في وصف الأفيون: " هو عصارة الخشخاش يكره ويسقط الشهوتين (اي شهوة الطعام والجماع) إذا تمودي عليه ، ويقتل إلى درهمين (الدرهم 3.2 جرام) . ومتى زاد أكله على اربعة أيام ولاء (أي متتالية) اعتاده (أي صار مدمن) بحيث يفضي تركه الى موته (قد يؤدي سحب العقار فجأة الى الموت وإن كان ذلك نادرا في الأفيون) ، لأنه يخرق الأغشية خروقا لا يسدها غيره (هكذا توهم القدماء بسبب ما يحدث تركه فجأة من اسهال وقيء شديدين) .

ولا يلبث المصاب أن يدخل في مرحلة من النوم القلق المتوتر ويصحو بشعور مريع يتملكه الخوف ، ويحدق به الموت ، يتجرعه ولا يكاد يسيغه ، ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت . ويبقى على هذه الحالة الكريهة الرثة ثلاثة أيام ثم يبدأ بالتحسن التدريجي حتى يعود إلى وضعه الطبيعي خلال إسبوع أو إسبوعين . وقد

يتوفى نتيجة فقدان السوائل وشوارد الجسم (الأيونات) (10 بالمئة من الحالات) ، ولذا ينبغي علاج هذه الحالات في مصحة خاصة أو لدى طبيب مختص بعلاج حالات الادمان .

ويؤدي سحب عقار الكحول والباربيتورات لدى من أدمنها إلى أعراض أشد من أعراض سحب الأفيون ومشتقاته . إذ تصل الوفيات إذا لم تعالج الحالة إلى 25 بالمئة وتحدث نوبات صرع شديدة وارتفاع في درجة الحرارة مع هلوسات سمعية وبصرية ثم فقدان للوعي كاملا .

ومع هذا فإننا نقرر إن حدوث الادمان في الأفيون ومشتقاته وبالذات الهيرويين هو أسرع بكثير من حدوث الادمان في الخمر والباربيتورات.

وتقسم العقاقير المسببة للاعتماد في كتب علم الصيدلة كالاتي⁸ :

- 1- مجموعة الأفيون ومشتقاته (وهي التي يطلق عليها اسم المخدرات (Narcotics) .
- 2- مجموعة مثبطات الجهاز العصبي : وتشمل الكحول والباربيتورات ومجموعة البنزودايبيين (الفاليوم والليبريم . . الخ) ومجموعة الميثاكوالون . . الخ .
- 3- مجموعة منبهات الجهاز العصبي : وتشمل الكوكايين والامفيتامين ومشتقاته والفتلئين . . ويدخل فيها القات .
- 4- التبغ : والمادة المسببة للاعتماد فيه هي النيكوتين .
- 5- المهلوسات : ويمثلها عقار (LSD) المستخرج من فطر الارجوت ومادة الميسكالين والزايلوسبين في مجموعة من الفطور في أمريكا اللاتينية والحشيش⁹ والشيكرا و جوزة الطيب .
- 6- الغازات والمواد المستنشقة : مثل غاز أول أكسيد النتروز (الغاز الضاحك) والاسيتون والغراء ومذيب البوية والتولوين والايثير .

الأفيون ومشتقاته¹⁰ :

يعتبر الأفيون ومشتقاته مثل المورفين والهيرويين الممثل الحقيقي للمخدرات NARCOTICS بل ان لفظ المخدرات لا يطلق في الطب الا عليه وعلى مشتقاته .

ويستخرج الأفيون من ثمرة شجرة الخشخاش غير الناضجة (وهي مثل الكابسولة) بتشريطها فيخرج منها عصير أبيض لزج سرعان ما يغمق لونه عند

تعرضه للهواء . وقد عرفت البشرية الأفيون منذ أزمان سحيقة واستخدمه لتسكين الألم السومريون منذ ستة آلاف عام ، وكذلك استخدمه ووصفه الفراعنة والآشوريون واليونان وغيرهم من الأمم القديمة .

وتعتبر آسيا الوسطى الموطن الأصلي لشجرة الخشخاش ، وانتشرت زراعتها منذ أزمنة سحيقة في العراق وايران ومصر وشبه القارة الهندية . ويعتبر المثلث الذهبي : لاوس وتايلند وبورما ، والهلال الذهبي : باكستان وأفغانستان وايران وتركيا من أكبر مصادر هذه الشجرة في الوقت الراهن . وقد قامت ايران وتركيا بمحاربة زراعة هذه الشجرة بحيث تقلصت زراعتها في هذين البلدين بشكل كبير جدا بينما تنامت زراعتها في أفغانستان في الآونة الاخيرة بشكل ملفت للنظر واصبحت تشكل دخلا كبيرا للقبائل الافغانية ، بل وللحكومة¹¹ !!

وتعرف شجرة الخشخاش باسم *Papaver Somniferum* علميا ، وتتبع الفصيلة الخشخاشية ، ويسمى الخشخاش في كثير من المناطق " أبو النوم " نتيجة لما يحدثه من خدر ونوم .

الوصف النباتي : نبات الخشخاش نبات عشبي حولي ، يصل ارتفاعه الى متر أو متر ونصف ، يحمل أزهارا بنفسجية أو بيضاء جميلة اللون . وأما الثمرة فتكون على هيئة كبسولة خضراء وهي التي يستخرج منها الأفيون بواسطة كشطها حيث يخرج منها سائل ابيض لزج ، سرعان ما يتحول الى اللون البني عند تعرضه للهواء ويترك هذا السائل حتى يصير صلبا متماسكا فينقطع الى قطع صغيرة أو كبيرة حسب الطلب . وأما البذور والتي تستخدم في صناعة الخبز والبسكويت وغيرها فهي تضاف مع الحبة السوداء ، وليس فيها من الأفيون شيء ولكن بها مواد طاردة للغازات وقد يمنع استخدامها خوفا من استنباتها.

أقرباذين الأفيون : يحتوي الأفيون على مجموعة كبيرة من القلويدات *Alkaloids* والتي تشكل 25 بالمئة من وزن الأفيون ويبلغ عددها 25 قلويدا ، ولكن معظمها لا تأثير له على الانسان .

ويمكن تقسيم المواد المهمة والتي تستخدم في المجال الطبي والمستخرجة من الأفيون إلى مجموعتين : الأولى : **مجموعة الفينانثرين Phenanthrene** وهي تحتوي على المواد التالية :

(1) **المورفين** : ويشكل 10 بالمئة تقريبا من وزن الأفيون (8 الى 15 بالمئة حسب مصدر زراعة الخشخاش) ويعتبر المورفين المادة الاساسية الفعالة في الافيون ، وهو أقوى مسكن طبيعي للألم عرفه الانسان . ورغم اكتشاف مواد كيميائية عديدة قد يكون لبعضها أضعاف آثار المورفين بمئات المرات ، الا ان المورفين لا يزال يعتبر حجر الاساس في علاج الآلام الشديدة ، وخاصة في حالات جلطات القلب . حيث أنه يسكن الألم ويخفف من تأثير الجلطة وله تأثير جيد على القلب ويمنع حدوث الوذمة الرئوية ويعتبر من العلاجات الاساسية الاسعافية لجلطة القلب . ونتيجة للخوف من الادمان فإن كثيرا من الاطباء لا يستطيعون العثور عليه . ووجوده محدود في المستشفيات مع ان فائدته الكبرى هي عند حدوث الجلطة مع شدة ألم المريض ورعبه وهو لا يزال في منزله أو مكان عمله . ولا بد من إعادة النظر في السياسة الحالية واعادة المورفين لوضعه الطبيعي في علاج مثل هذه الحالات مع التشديد على الرقابة على الاطباء والاحتفاظ بالسجلات الموثقة للنظر في كيفية استخدامه وضمان عدم تسربه . كما يستخدم المورفين والبيثدين والأفيون في معالجة آلام السرطان المتقدم الذي يسبب للمريض آلاما مبرحة لا تطاق . ويعتبر عدم استخدامه تقصيرا في علاج المريض الذي يعاني من الآلام الشديدة ، وكما أنه يستخدم في حالات الكسور الشديدة والانزلاق الغضروفي وفي كل ما يسبب آلاما حادة شديدة لا تستجيب للمسكنات العادية¹² . وحدث حالات إدمان من الاستخدام الطبي نادرة الحدوث وفي حالات السرطان ينبغي ان ننظر الى اراحة المريض من آلام مبرحة لا يطيقها ولو أدى ذلك في بعض الحالات النادرة الى الادمان والغالب ان الحياة لا تطول بهؤلاء ليصابوا بالادمان .

(2) **الكودايين** : يحتوي الأفيون على الكودايين بنسبة ضئيلة تتراوح ما بين نصف إلى واحد بالمئة من وزن الأفيون . ويستخدم هذا المستحضر في أدوية السعال والأقراص المسكنة للآلام . ومثلا فإن حبوب الفيجانين Veganine يحتوي كل قرص منها على 8 مليجرامات من الكودايين ، يحتوي قرص الريفاكود على 10 مليجرامات من الكودايين وقرص ال APC يحتوي 8 مليجرامات من الكودايين . . ولكن في الآونة الأخيرة بدأت شركات الأدوية تقلل من استخدام الكودايين في أدوية الكحة (السعال)

والأدوية المسكنة لوجود البديل ، ونتيجة لما يحدثه الكودايين أحيانا وإن كان نادرا ، من إدمان.

(3) **الثيبايين** : ولا يشكل سوى 0.2 بالمئة (أي اثنين بالألف) من وزن الأفيون الخام ولا يستخدم في الطب لأنه مادة تسبب الصرع ، وليس له أي أثر في تسكين الألم . ولكن هذه المادة يستخرج منها بالطرق الكيماوية مواد أخرى عديدة ذات مفعول طبي (خارجة عن نطاق تسكين الألم والإدمان) .

المجموعة : ايزوبنزيل كونيولين Iso Benzyl Quinoline :

وتحتوي هذه المجموعة على مواد لا تسبب إدمانا ولا تسكينا للألم . وأهم مادتين تستخرجان هما :

- 1- **البابا فرين (Papaverine)** : وهو يستخدم لتوسيع الأوعية الدموية ويمنع أيضا تقلص العضلات ، وتبلغ نسبته في الأفيون الخام واحد بالمئة
- 2- **النوسكابين (Nuscipine)** : ويستخدم كمهدئ للسعال . وقد حلّ محل الكوديين لأنه لا يسكن الآلام ولا يسبب الإدمان ، وتصل نسبته في الأفيون الخام إلى 6 بالمئة .

الأفيون عند القدماء والاستخدامات الطبية :

ولقد عرف قدماء المصريين آثار الأفيون الطبية وجاء في بردية مصرية اكتشفها جورج موريتزابرس عام 1873 ، والتي كتبت قبل 3500 عام : " إن الأفيون قادر على اسكات أشد الناس صراخا ، وهو قادر على إخراس الأطفال الذين يتجاوزون الحد في صياحهم وهياجهم " ، وكتب المؤرخ والأديب اليوناني هوميروس صاحب الإلياذة إن هيلينا سقت (تلماك) مشروبا مرّ المزاق كرية الطعم ، ينسي الأحزان والآلام هو هبنتس أو الأفيون .

وذكر أشهر عشابي اليونان ديسقوريدس Dioscoridis صاحب أقدم وأوسع فارماكوبيا طبية ، خصائص نبات الخشخاش وعصيره الأفيون . وذكره أبقراط واستخدمه في معالجة الآلام المبرحة لمرضاه . وكذلك فعل جالينوس الذي تنه إلى ان استخدام الأفيون قد يؤدي إلى الإدمان ووصف بالفعل حالات إدمان (باراسلو) ، وإدمان الامبراطور (ماركوس اريلوس) عليه¹³ .

وعرفه الاطباء المسلمون مثل ابي بكر الرازي ، وأبو علي الحسين ابن سينا وابن البيطار والبيروني وداود انطاكي ... ومما جاء في تذكرة داود عن الأفيون هو عصارة الخشخاش . . وهو ما يؤخذ بالشرط وهو أجود وأقوى ، أو بالطبخ حتى يغلظ وهو أضعف وأردأ (وذكر أنواعه وكيف يُغشّ وكيفية معرفة غشّه وصفاته) .. وأنه يقطع الاسهال وينفع من الرمد ، والصداع ، والنزلات والسعال ، وضيق النفس والربو ، ويستعمل الضماد بدهن اللوز والزعفران ولبن النساء ، ويستخدم للزحير (الدوسنتاريا) ، ويقطر في الاذن فيزيل الصمم، ويذهب الحكة والجرب في المراهم .. وهو يكره (الكآبة) ويسقط الشهوتين (اي شهوة الطعام والجماع) إذا تمودي عليه . ويقتل الى درهمين (الدرهم 3.2جراما) ومتى زاد أكله على أربعة أيام ولاء (أي متتالية) اعتاده بحيث يُفسي تركه إلى موته (نادرا ما يحدث ذلك ولا يحدث الإدمان الشديد بمجرد أخذه أربعة أيام بل يحتاج إلى مدة أطول من ذلك) ، لأنه يخرق الأغشية (هكذا توهم القدماء لان تركه يسبب اسهالا شديدا وقيئا متواصلا وفقدانا للسوائل) خروقا لا يسدها غيره .."

الأفيون في العصور الحديثة والاستخدامات الطبية :

وفي العصور الحديثة تعرف قرصان انجليزي يجوب البحار على مسحوق مكون من الأفيون (Opium) ومسحوق نبتة عرق الذهب (Ipicacuana) ومسحوق كبريتات البوتاسيوم حينما كان في زيارة للصين وسرعان ما أدرك هذا القرصان الذكي خصائص هذا العقار المدهش فقام بإدخاله إلى أوروبا كدواء سحري يقضي على جميع الأمراض والآلام ، واحتكر تجارته فأصبح من أثري أثرياء العالم . وتحول القرصان دوفر Dover الى العالم دوفر الذي دخل اسمه إلى كل كتاب من كتب الطب والصيدلة طول القرن التاسع عشر وردحا طويلا من القرن العشرين.

ويضع القانون المصري رقم 182 لسنة 1960 قائمة طويلة من العقاقير المحتوية على الأفيون ومشتقاته الفعالة مثل المورفين والكودايين .. ويذكر القانون 35 مادة ومستحضرا طبييا تحتوي على الأفيون ومشتقاته ، وقد سمح باستعمالها في المجال الطبي .. ولكن الأطباء تنبهوا الى عدم الحاجة لكل هذه المواد الأفيونية في الطب لخطورة استعمالها من ناحية المدمنين ، ولعدم التحكم في الاستعمال الطبي ، وبالتالي تحوله الى حالات الادمان الخطرة . وتوضح هذه القائمة الطويلة¹⁴ . كيف أن الأفيون ومستحضراته كانت تستخدم لعلاج أمراض عديدة تتراوح من أمراض الجهاز الهضمي والدوسنتاريا (الزحار) الى أمراض الجهاز التنفسي (الكحة والربو) إلى أمراض

القلب وأمراض الروماتيزم الى المروخ والأدهان والمرام والفرزجات (Suppositories) ... الخ ، بل الى معالجة أشياء بسيطة مثل الزكام ، وقد تم الغاء هذا القانون ، ومنعت هذه المواد لوجود البدائل الأسلم .

ورغم هذا فإن المورفين ومشتقاته والكودايين لا تزال تستخدم في الطب .
ويذكر الكتاب المرجع لتشخيص والعلاج طبعة 1993 . Current Medical Diagnosis and Treatment ، بعض هذه الاستخدامات الطبية التي لا تزال قائمة حتى اليوم . وأهمها معالجة الآلام المبرحة ، وحدوث جلطة في القلب وحالات السرطان المتقدمة ، وحدوث كسور أو حروق أو حوادث تؤدي الى آلام شديدة ويذكر قائمة على رأسها المورفين ومشتقاته مثل هيدرومورفين . ومواد أفيونية أخرى مثل المبيريدين (البيثادين) والميثادون وأوكسي مورفون والكودايين وأوكسي كودون وهيدروكودون.

ولن نتعرض للاعراض الجانبية للمورفين والمواد الأفيونية الأخرى فهي كأي عقار لا بد لها من أعراض جانبية ، ومن موانع الاستطباب كذلك . ولكن الناحية المهمة والخطرة هي الادمان ولهذا فإن استخدام هذه المواد قلّ بشكل ملحوظ في المجال الطبي في العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين .

كيفية عمل المورفين¹⁵ :

وأهم عمل للمورفين ومشتقاته هو تسكين الآلام المبرحة .. ويعمل المورفين على نهايات الأعصاب الطرفية الحاملة للألم ، وعلى عقد الجذر الخلفي من العصب Dorsal Root Ganglia ، وعلى المادة الهلامية Substantia gelatinosa الموجودة في النخاع الشوكي ، وعلى مسارات الألم الى جذع الدماغ والمهاد ، وعلى المادة السنجابية حول المسال وحول البطين في الدماغ . كما يعمل المورفين على مناطق مخية أخرى مثل الجهاز الحوفي Limbic System المسئول عن العواطف .
وبما أن الألم يزداد حدة بشعور الخوف والقلق فإن المورفين يعمل عن طريقتين :
(الاول) : تسكين مواضع الألم ومساراته في الاعصاب الطرفية الى الدماغ ،
(الثاني) : تهدئة الشخص وإعطائه شعورا بالسكينة وعدم المبالاة .

كما أن المورفين يخفض من مادة البروستاجلاندين التي تسبب الألم كما أنه يقلل بوابة الألم Pain Gate عند التشابك الموجود في القرن الخلفي للنخاع الشوكي .
ويقلل من افراز المادة P والمواد الاخرى المهيجة ، وتلك التي تسبب القلق بالاضافة الى المواد المسببة للألم .

المورفينات الدماغية وتأثيراتها:

والاحساس بالألم يختلف من شخص الى آخر كما يختلف لدى الشخص ذاته من موقع لآخر فالجندي في معركة قد لا يحس بالألم الجراح ، وكذلك اللاعب في ميدان الكرة قد لا يحس بالألم إصابة في قدمه أو مفصله حتى إذا انتهت المعركة أو المباراة صرخ من الألم . وفي عام 1975 إكتشف كوسترليتز في ابردين Aberdeen باسكوتلنده مورفينات الدماغ الطبيعية ، ثم وجدت في الجهاز العصبي بأكمله بل في مواضيع مختلفة من جسم الانسان بما فيه الجهاز الهضمي .

ولا يزال كثير من اسرارها غامضا الا انها تعمل في الجهاز العصبي كموصل عصبي Neuro transmitter وكمنظم للهرمونات وخاصة هرمونات الغدة النخامية. ويتركز وجودها في المناطق التي تتصل بالاحساس بالألم وبالجهاز العصبي اللاإرادي Autonomic Nervous System والجهاز العصبي الغدي Neuro endocrine System ، وتوجد مستقبلات الافيونات في الجهاز العصبي ، وقد تم اكتشاف ثلاثة أنواع منها (معلمة بالأحرف اليونانية) : دلتا وكابا وميو (د،ك،م) عام 1976. وتبين أن المستقبلات ميو مختصة بتسكين الألم (analgesia) والشعور الغامر بالسعادة (Euphoria) وتؤدي الى الادمان¹⁶ (Dependence) وتثبيط التنفس.

وقد تبين عند اجراء التجارب على المسكنات وايهام المريض الذي يعاني من الألم بأنه قد أعطي مسكنا قويا جدا ، فإن المريض يشعر بالاطمئنان ويخف لديه الألم ولو مؤقتا . وقد تبين ان الوهم يعمل على زيادة مورفينات الدماغ (الاندورفين والانيكافلين) ومسارات الألم وبالتالي يقل الاحساس بالألم ، كما يقل افراز المواد المهيجة للألم مثل مادة (P) ومادة البروستاجلاندين .

كذلك توصل العلماء الى ان الابر الصينية تقوم بذات الاثر وبالتالي تخفف من الشعور بالألم الى درجة اجراء العمليات الجراحية بدون تخدير بالعقاقير لدى نسبة من

المرضى . وقد تبين ان المرأة الحامل عندما يداهما الطلق بألامه يجعل الله لها فرجا ومخرجا بتخفيف تلك الآلام واعطائها شعورا بالسعادة وذلك بزيادة افراز المورفينات الدماغية الطبيعية في الدماغ والجهاز العصبي.

ومن المعلوم ان الصلاة والصيام وقراءة القرآن والتفكر والصدقة وعمل المعروف تعطي الانسان شعورا غامرا بالسعادة والرسول صلوات ربي وسلامه عليه يقول :
"وجعلت قرّة عيني في الصلاة " وكان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة .

وقد اشتهرت قصة التابعي الجليل (رويت هذه القصة عن الامام علي زين العابدين بن الحسين السبط وعن عروة بن الزبير رضي الله عن الجميع) الذي كان يعاني من ورم في بدنه (قيل في ساقه) وعرض عليه الجراح أن يسقيه البنج (قيل هو نبات الشيكرا + الحشيش) فرفض ذلك التابعي وقال : ولكن إذا دخلت في الصلاة وسجدت فافعلوا ما بدا لكم .

وفي معركة بدر هجم الشاب معاذ بن عمرو بن الجموح على ابي جهل وضربه ضربة بترت ساقه . والتفت عكرمة ابن ابي جهل فضرب معاذ على عاتقه حتى تدلت يده . قال معاذ : فلما آذنتني وضعت عليها قدمي ، ثم تمطيت حتى طرحتها . ثم واصل الجهاد والقتال !!

وكان أبو دجانة رضي الله عنه يتّرس على رسول الله ﷺ ويقيه النبل بنفسه يوم أحد ولم يشعر بألم تلك السهام والنبال في جسده . وقاتل أنس بن النضر يوم أحد حتى قتل ووجد به بضع وسبعون ضربة بسيف وطعنة برمح ولم يعرفه أحد الا أخته ، عرفته ببنانه . ولم يبال بتلك الرماح والسيوف في جسده ... وهناك مئات الأمثلة من البطولة الخارقة على يد الصحابة رضوان الله عليهم وعلى التابعين وتابعيهم الى يوم الدين .

ولعل ذلك كان بسبب افرازات غامرة من الاندورفين والانيكافلين جعلها الله سبحانه وتعالى لهؤلاء القوم ليخفف عنهم الآلام وليعطيهم هذا الشعور الدافق بالسعادة والسكينة حتى يقول قائلهم كما ينقله عنهم ابن القيم في مدارج السالكين " لو كان اهل الجنة على ما نحن فيه ، انهم إذن لفي عيش طيب " .. وحتى يقول ابن تيمية رحمه الله بعد ان حبس وضيق عليه : " ما يفعل اعدائي بي . انا حبسي خلوة وقتلي شهادة واخراجي من بلادي سياحة " وهي روح سامقة لاهل العزم من أولياء الله .

ولا يستطيع عامة الناس ان يصلوا الى هذه القمم السامقة . ولذا لا بد لهم من هذه العقاقير المسكنة للألام عند الاضطراب والحاجة لها . ولكن لا ينبغي ان تكون الملجأ والملاذ لكل ما يعترى الانسان من قلق وتوتر وضيق وكآبة ووصب وألم .. فالصلاة وأعمال البر التي توصل الانسان بربه لها دور كبير في التخفيف من هذه الاوصاب والألام ولذا ينبغي الحذر من الانجراف في استخدام هذه العقاقير لادنى سبب من أسباب الألم المحتمل أو لحالات القلق والضيق والكرب .

وهذا الكلام لا ينطبق فقط على المسكنات القوية مثل الأفيون ومشتقاته وإنما ينطبق أيضا على المهدئات مثل الفاليوم والليبريم ومضادات الكآبة مثل التريبتيزول والليديوميل ، ومثل العقاقير المنومة الأشد مفعولا مثل الباربيتورات . ولا ينبغي ان تستخدم هذه العقاقير الا في الحدود الضيقة ، ولا تصبح بديلا لمواجهة مشكلات الحياة التي ازدادت مع موجة الحضارة الغربية فأدت الى انتشار القلق والكآبة والأمراض النفسية المختلفة .

-
- 1 - حاشية ابن عابدين ج 402/5 - 405 .
 - 2 - حاشية ابن عابدين ج 305/5 .
 - 3 - الزواجر لابن حجر ج 214.215/1 .
 - 4 - حاشية ابن عابدين ج/5304 .
 - 5 - 1- Royal College of Psychiatrists : Drug Scenes, Gaskell, London, 1987: 6(Introduction) .
 - 6 - الهيرالد تربيون 16 مايو 1988 ، الصفحة الأولى والخامسة ، وعدد 27 مايو 1988 ، صفحة 6 .
 - 7 - قرار منظمة الصحة العالمية رقم 650 لعام 1980م .
 - 8 - من كتاب جودمان وجلمان في علم العقاقير الفارماكولوجي ، الطبعة السادسة لعام 1985 وطبعة عام 1992م .
 - 9 - بعض التقسيمات تفرد الحشيش لوحده .
 - 10- راجع لمزيد من التفصيل عن الأفيون وتاريخه ووصف شجرته ومشتقات الأفيون كتاب : المخدرات الخطر الداهم : الأفيون ومشتقاته لكتاب هذه السطور اصدار دار القلم دمشق - الدار الشامية بيروت - الطبعة الثانية 1419هـ /1998م
 - 11- تعتبر أفغانستان أكبر مصدر لزراعة الخشخاش ونتاج الأفيون في العالم اليوم .
 - 12- الكتاب المرجع في العلاج والتشخيص
- Current Medical Diagnosis and Treatment editors: Lawrence Tierney, Mc Phee,s,
Papadakis M.,
Schroeder S Lange Medical book, Middle East Edition, 1993 P 13 -14 .
- 13 - Madden J.S: Aguide to Alcohol and Drug Dependence, 2nd Edi-tion Wright Co . -13
Bristol, 1984 P 158
 - 14- انظر كتابنا : المخدرات الخطر الداهم الأفيون ومشتقاته دار القلم ص87-88 والملحق الجدول رقم ص 419-426 . وانظر

ص 231-227 لتوضيح تأثير المورفين على مسارات الألم في الجهاز العصبي الطرفي والنخاع الشوكي
والدماغ. وايضا

ص 245-239.

¹⁵ - Hughes J, collier H.O., Rance M, TyersM ed : Opiods: Past Present and future. Taylor
and Francis. London-Philadel 1984 .

¹⁶ - المصدر السابق ص 176-158 ، وكتاب: Madden J.S: A Guid to Alcohol and drug
dependence